وإن كان من إضافة لهذا المدخل التاريخي النظري السريع فهي أن هذه الورقة تنطلق من قناعة نقدية فلسفية تتلخص في أن الأدب خطاب إبداعي ثقافي بالمفهوم الذي طرحه ميشيل فوكو وأضاف إليه إدوارد سعيد؛ أي أن العملية الإبداعية خاضعة إلى حد ما لمقتضيات حركة الثقافة ككل ولراهنية التصورات والاحتياجات السياسية والاجتماعية وما يتصل بها.(٦) وإن سلمنا باستقلالية العمل الأدبي، فإنما نسلم باستقلالية نسبية ومحدودة بمقتضى اضطراره للدخول باستمرار في علاقة شد وجذب مع قوى الثقافة والمجتمع المحيط، وهو بالتالي أبعد ما يكون عن التصور الشكلاني الرومانسي للأدب كإبداع خالص أو متجاوز. وستأتي النماذج المتأملة هنا من القصة الأوروبية والأمريكية خاصة في تماسها وتداخلها مع الموروث الشرقي المتمثل بالدرجة الأولى بـ *ألف ليلة* لتؤكد ما أذهب إليه. فسيتضح أننا في الأعمال المطروحة إزاء خطاب غربي استشراقي له قواعده وسماته الممتدة على مساحات ضخمة زمانيًا ومكانيًا من الآداب الغربية. وما تناقشه هذه الورقة ليس سوى جزئية من هذا الخطاب العريض الممتد إلى الأدب اليوناني القديم، والذي دخل الأدب الأمريكي منذ بدايات تكوينه متلبسًا بخصوصية ذلك الأدب دون أن تنقطع صلته بأصوله الأوروبية. ولو لخصت سمات الخطاب المشار إليه فسأقول إنها تتضمن اصطناع كيان جغرافي وثقافي وإنساني اسمه الشرق يمثل في الأعمال الأدبية بوصفه نقيضًا أو ظلاً للغرب يمكن التغزل به أو الإساءة إليه، لكن دون تماه فيه. فالمسافة قائمة دائمًا بين الشرق والغرب سواء تمثل الشرق بشخصية مكروهة غالبًا لدى الغربيين أو باعثة على الحيرة وبعض الإعجاب في النادر كشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو بشخصية فاتنة دائمًا كشهرزاد.

لقد قمت في مشروع سابق بدراسة تشكلات هذا الخطاب في الأدب الإنجلو-

---

(٦) انظر إدوارد سعيد ، *الاستشراق* (الملاحظة السابقة) ؛ وميشيل فوكو ، *الكلمات والأشياء*، ترجمة مطاع صفدي وآخرون (بيروت: مركز الإنماء العربي، مشروع مطاع صفدي للينابيع IV، ١٩٨٩-١٩٩٠) وكذلك :

(New York: Harper & Row, *The Archeology of Knowledge*, trans. A.M. Sheidan Smith 1972).